

محاضرة

﴿وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾ ﴿٦٩﴾

[طه]

فضيلة الشيخ عبد الرزاق البدر

حفظه الله تعالى

النسخة الإلكترونية (٢)

الشيخ لم يراجع التفريع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين.

اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا، اللهم علّمنا ما ينفعنا وزدنا علماً، واجعل ما نتعلّمه حُجّة لنا لا علينا يا ذا الجلال والإكرام.

معاشر المؤمنين.. موضوع هذا اللقاء عن السّحر وبيان خطره وضرره على الأفراد والمجتمعات، وبيان ما ينبغي أن يعرفه المسلم عن هذا الدّاء العُضال والشرّ المستطير.

وعنوان هذه الكلمة - كما سمعتم - هو قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾

﴿٦٩﴾ [طه].

وهذا القول المبارك والكلام العظيم من الرّبّ - جلّ وعلا - ينبغي - معاشر المؤمنين - أن نجعله عنواناً في هذا الباب؛ لنعرف من خلال هذه الآية ومن خلال هذا البيان العظيم أن السّاحر أينما توجه، وفي أيّ مكان حلّ، وإلى أيّ مكان ذهب، وفي أيّ موضع جلس لا يفلح، فهو دائماً وأبداً مألّه إلى الخُسران، ونهايته إلى الخيبة والحُرمات، بهذا أخبر ربّ العالمين - جلّ وعلا -: ﴿وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾ أي: أينما توجه وأينما ذهب وأينما حلّ فالفلاح مُفارقة، هو دائماً في خُسران، دائماً في خيبة، حتّى وإن توهم في قرارة نفسه أنه يجني أرباحاً أو يُحصّل مالاً أو ينال جاهاً.. أو نحو ذلك، فإن حقيقة ما يظنّه أوهاماً، إذ إن سحره لا يؤدّي به إلّا إلى الخُسران.

وهنا أيّها الإخوة - ليستبين لنا هذا الأمر - لتتأمّل السياق الكريم الذي وردت فيه هذه الآية في سورة «طه»، حيث إن الله - جلّ وعلا - ذكر في سياق مبارك قصّة السّحرة الذين جلبهم فرعون وجمعهم وواعد موسى في يوم الزينة وأن يجتمع الناس ضحى وأرسل في المدائن حاشرين يأتونه بكلّ سحّارٍ عليهم، وأخذ جنوده يجمعون عتاولة السّحرة وكبارهم ويعدونهم بالوعود والعطايا والمال والتّقريب من فرعون، كلّ ذلك ترتّب عليه اجتماع هائل من السّحرة من أماكن متفرّقة، حتّى قيل في بعض كتب التفسير: إن عدد من اجتمع من السّحرة في ذلك اليوم يزيد على الثلاثين ألف ساحر، وكلّ منهم أتى بما عنده وفيما هو في معلومه وجُهد من السّحر وأنواعه، اجتمعوا لمنازلة موسى عليه السلام، اجتمعوا في يوم

الرَّيْنَةَ فِي الضُّحَى، واجتمع النَّاسُ، وقال السَّحَرَةُ لفرعون: ﴿أَيْنَ لَنَا لَاجِرٌ إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ﴾ [٤١] قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذَا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾ [الشعراء]، فهم جاؤوا يطلبون أمرين: يطلبون الأجر؛ المال، وجاؤوا يطلبون المنزلة والجاه والقربة من فرعون ﴿نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذَا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ [٤٢]، وهذا مما يُقوِّي عزائمهم ويزيد رغبتهم وحرصهم على تحقيق الانتصار.

لَمَّا اجتمعوا في ذلك اليوم وقت الضُّحَى وَعَظَّمَهُمْ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ موعظةً بليغةً وعجيبةً تهزُّ الجبال قال - عليه السَّلام - لهؤلاء السَّحرة: ﴿وَيْلَكُمْ لَا تَقْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنْ افْتَرَى﴾ [٦١] طه، هم عندما دُعُوا إلى هذا المكان دُعُوا على أنهم سَيُنْزَلُونَ ساحرًا، ورماء فرعون بالسَّحر، ووصفه بأنه ساحرٌ عليم، وجمع هؤلاء السَّحرة لمنزلته، ثم لَمَّا حضروا أمامه - وهم يعرفون أقوال السَّحرة وكلامهم - أدركوا أنَّ مثل هذا الكلام لا يقوله ساحر، السَّاحر بعيدٌ كلَّ البُعد عن هذه المواعظ الرقيقة والكلمات القويَّة والألفاظ الإيمانيَّة والتذكير بالله ﷻ والتَّخويف به، هذا كلام لا يقوله ساحر ﴿وَيْلَكُمْ لَا تَقْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنْ افْتَرَى﴾ [٦١] كلام يهزُّ الجبال، ولهذا أثَّرت الكلمة.

والعلماء يقولون هنا في كتب التفسير: إنَّ الموعظة والكلام الصادق يؤثِّر حتى وإن ظننت أنه لم يؤثِّر هو في الحقيقة يؤثِّر. أثَّرت فيهم الكلمة، ولهذا ماذا قال الله تعالى؟ ﴿فَنَنْزَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ﴾ [طه: ٦٢] بعد أن كانوا جميعًا وعلى قلب رجلٍ واحدٍ لَمَّا سمِعوا هذه الموعظة تنازعوا أمرهم بينهم؛ يعني بدؤوا يتخاطبون ويتذاكرون ويقول بعضهم: هذا ليس بكلام ساحر.. ونحو ذلك من الكلام، ﴿فَنَنْزَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ وَأَسْرُوا النَّجْوَى﴾ [٦٢]؛ لَمَّا حصل بينهم التنازع رجعوا في آخر الأمر وأسروا بينهم كلامًا ذكره الله ﷻ وبينه ﴿قَالُوا إِنَّ هَذَانِ لَسَاحِرُونَ﴾ [طه: ٦٣] بعد التَّأثُّر الذي حصل في عددٍ منهم أخذوا يتناجون بينهم وجمعوا كلمتهم على الصُّمود وعلى مجابهة موسى بما لديهم من السَّحر، وقالوا كلمة قالها فرعون من قبل؛ ﴿قَالُوا إِنَّ هَذَانِ لَسَاحِرُونَ﴾ يعني موسى وأخوه هارون ﴿قَالُوا إِنَّ هَذَانِ لَسَاحِرُونَ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا﴾ [طه: ٦٣] هذا هدفهما وهذه غايتهما؛ ﴿يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى﴾ [٦٣]، أنتم أهل طريقة مثلى ورفيعة وعالية، وموسى وأخوه هارون أرادوا أن يصرفا وجوه النَّاس عنكم ويستحوذوا على الأمر وتصبح الرئاسة والزَّعامة والمال والجاه له ولأخيه

دونكم ﴿وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى﴾ (٦٣) ﴿فَاجْمَعُوا كَيْدَكُمْ﴾ يعني اتحدوا وكونوا يداً واحدةً ولنكن في الميدان يداً واحدةً نُلقي السحر جميعاً بكل ما أوتينا ﴿فَاجْمَعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ أَتُوا صَفًّا﴾ [طه: ٦٤].

ثم تأمل في الأوهام التي يعيش فيها المُبطل ﴿وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنْ أَسْتَعْلَى﴾ (٦٤) [طه] يعيشون في أوهام، أوهام هي في الحقيقة لا تؤدِّي إلا إلى التَّباب والخراب والضَّياع والخيبة، ﴿وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنْ أَسْتَعْلَى﴾ (٦٤) يظنون أنَّ العلوَّ لهم، وأنَّ الفلاح لهم، وأنَّهم بهذا السحر العظيم الذي جاؤوا به سينالون فلاحاً وسعادةً وعلوًّا.

ومن تماديهم في هذا الباطل بادروا موسى: ﴿قَالُوا يَمُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقَى وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى﴾ (٦٥) [طه]، يعني نحن على استعدادٍ وكلمتنا اجتمعت على أن ننازلك، فإمَّا أن تكون أنت الذي تُلقي ما عندك أولاً أو أن نبدأ نحن بإلقاء ما عندنا، قال: بل ألقوا ما عندكم، فألقوا حبالهم وعصيَّهم، معهم حبال ومعههم عِصِيّ فألقوها، فإذا هذه الحبال والعِصِيّ تتحوَّل إلى حَيَّاتٍ ضخمةٍ كبيرةٍ تأكل ما أمامها فيما يُخيَّل للناس، ﴿سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَأَسْتَرْهَبُوهُمْ﴾ [الأعراف: ١١٦]، فأصبح يُخيَّل لمن يرى تلك العِصِيّ وتلك الحبال أنه يرى حَيَّاتٍ تأكل ما أمامها، ﴿قَالُوا يَمُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقَى وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى﴾ (٦٥) قَالَ بَلْ أَلْقُوا [طه].

ذكر الله -جلَّ وعلا- في هذا السِّياق أنَّ موسى عليه السلام: ﴿لَمَّا رَأَى تِلْكَ الْحَبَالَ وَتِلْكَ الْعِصِيَّ تَسْعَى﴾ ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى﴾ (٦٧) [طه]، فثبَّتَه ربُّ العالمين ﴿قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى﴾ (٦٨) [طه] العلوُّ لك.

تأمل هذا بما سبق قبل قليل ﴿وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنْ أَسْتَعْلَى﴾ (٦٤) يقول له ربُّ العالمين: ﴿لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى﴾ وهذا تثبُّتٌ من الله -جلَّ وعلا- لنبيِّه موسى عليه السلام.

﴿وَأَلْقَى مَا فِي يَمِينِكَ﴾ [طه: ٦٩] موسى عليه السلام جاء إلى الميدان يتوكَّأ على عصاه بيده، ليس في يده إلا عصا يتوكَّأ عليها، وهؤلاء جاؤوا بذلك السحر العظيم، قال له ربُّ العالمين: ﴿وَأَلْقَى مَا فِي يَمِينِكَ نَلَقَفَ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدٌ سَحَرٌ﴾، كلُّ هذه البهرجة وكلُّ هذه الزَّخرفة، وكلُّ هذا السحر العظيم كله ستلقفه هذه العصا، حقيقةً وليس تخيلاً، الذي جاؤوا به تخييل والذي كان من العصا التي بيد موسى حقيقةً،

تحوّلت العصا إلى حيّة حقيقية تسعى، وإذا بهذه الحيّة -تبارك الله رب العالمين- تلقف ما صنعوا، الوادي كان ممتلئاً بحياتٍ تسعى فيما يُخيّل للناس، حبالٌ وعُصيّ لكنّ الناس يرونها في أعينهم حيّات تسعى تلقف ما أمامها، وادي ممتلئ، وكان منظرًا مخيفًا، نبى الله موسى أو جس في نفسه خيفةً كما أخبر الله ﴿سَكَّرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَأَسْتَرْهَبُوهُمْ﴾ [الأعراف: ١١٦] كان موضعًا مخيفًا، إذا بهذه العصا التي بيد موسى عليه السلام تتحوّل إلى حيّة حقيقية تسعى، وهؤلاء السحرة أهل سحر يعرفون الفرق بين الحقيقة والخيال وإذا أمامهم حيّة حقيقية تسعى أمام أنظارهم وتلقف -أي: تبتلع- ما صنعوا، كلّ الذي أمامها تبتلعه، عُصيّ حبال، كلّ ما أمامها من سحرٍ هؤلاء ومن صنيع هؤلاء تبتلعه في جوفها وهي عصا صغيرة كانت في يده عليه السلام، تبارك الله رب العالمين، ﴿وَأَلْقَى مَا فِي يَمِينِهِ نَلَقَفَ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدٌ سَحِرٌ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾ ﴿٦٩﴾ هنا جاءت الآية ﴿وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾ أينما ذهب مصيره إلى الخسران ونهايته إلى الحرمان.

هؤلاء السحرة لما رأوا هذا المنظر العجيب والأمر الذي يختلف عما تعلّموه ودرسوه وتلقّنوه، رأوا أمرًا خارقًا للعادة، أمرًا لم يألّفوه مطلقًا في مدرستهم مدرسة السحر، رأوا أمرًا عجبًا، عصا في يد موسى عليه السلام تحوّل إلى حيّة حقيقية وابتلعت كلّ ما صنعه هؤلاء، فلم يبقَ في بطن الوادي وفي ذلك الجُمع أي شيء من صنيع هؤلاء السحرة، فأصبح السحرة قيام ولا يوجد شيء من صنيعهم، لا يوجد منه شيء، منظرٌ مؤثّرٌ جدًّا، فما الذي حدث؟ ﴿فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا﴾ جميعهم سجدوا لله رب العالمين، ﴿فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى﴾ ﴿٧٠﴾ [طه] أعلنوا الإيمان لأنهم رأوا الحُجّة السّاطعة والمعجزة الباهرة والبرهان الخارق الدال على صدق موسى عليه السلام وصدق ما جاء به وأنهم أمام أمرٍ خلاف ما يدّعيه فرعون وحزبه أن موسى جاء بسحرٍ قصّده منه أن يأخذ البساط من تحت فرعون وحزبه كما صور للناس هذا الأمر، ﴿فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى﴾ ﴿٧٠﴾.

فرعون اعتاد من هؤلاء السحرة الذين هم في الواقع تعلّموا السحر بأمره وطلبه كما سيأتي معنا ﴿وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ﴾ [طه: ٧٣] بأمره وطلبه، اعتاد منهم سمعًا وطاعة، اعتاد منهم أنهم رهن الإشارة، اعتاد منهم أنهم لا يفعلون أي شيء إلا بإذنه، ففوجئ بدون استئذان وبدون مشاورة وبدون رجوع إليه خرّوا سجدًا ﴿قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى﴾ ﴿٧٠﴾ قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ أَدْنَى لَكُمْ ﴿طه﴾ يعني ما هي هذه العادة

ولا هو هذا الذي تعودنا عليه، كما اعتدنا ترجعون وتسألون وتستأذنون وأبين لكم الأمر، فهم بدون استئذان وبدون مقدمات وبدون رجوع إليه خرُّوا سُجَّدًا لله وأعلنوا إيمانًا صريحًا بالله رب العالمين ﴿قَالُوا ءَامَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى﴾ (٧٠) قَالَ ءَامَنَّا لَهُ، قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ ﴿يا سبحان الله! يستمر فرعون بالضحك على من تحته من الحمقى والجهلة يُغرر بهم ﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ، فَاطَاعُوهُ﴾ [الزخرف: ٥٤]، قال: ﴿إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ﴾ يريد أن يمَّوه على الحاضرين والجموع الكبيرة التي كانت تنتظر غلبة لفرعون ومن معه فأراد أن يقلب الأمر؛ فقال: ﴿إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ﴾ وفعلاً خدع قومه بهذه الكلمات وعزَّزهم بها.

مع أن موسى الذي يدرس تاريخه ويتأمل هو جاء من مدين ولم يكن على صلة بهؤلاء السحرة، وجميع هؤلاء السحرة من أماكن شتى، ولم يلتق بهم إلا في هذا الميدان وفي هذا المكان، فكيف يرمي هذه الكلمة فرعون ويكون لها أثر؟! ولكنها أثرت على الحمقى وعلى من لا عقول لهم فصدَّقوا بهذا الأمر ﴿إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ﴾.

ثم تهدَّدَهم بأن يُقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف وأن يصلِّبهم في جذوع النخل، وتوعَّدهم على ذلك، وأخبروا بأنهم باقون ثابتون على الإيمان مطيعون للرحمن ﷻ وأنهم لن يرجعوا إلى هذا السحر مهما حصل.

وهنا أيها الأخ الموفق لك أن تكبر الله ﷻ على عظمتهم، آلاف سحرة في أول النهار ثم يشاء رب العالمين أن يتحوَّلوا في آخر النهار إلى مؤمنين بررة بإذن رب العالمين -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- ولا يُبألون، توعَّدهم بتقطع الأيدي، بتقطع الأرجل، بأن يصلِّبهم في جذوع النخل، ﴿قَالُوا لَا ضَيْرَ﴾ [الشعراء: ٥٠]، افعل ما شئت ﴿فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ (٧٢) ﴿طه﴾ ما بُالي، افعل ما شئت، نحن آمنَّا بالله، في أول النهار سحرة وفي آخر النهار مؤمنين بررة، وهذه آية من آيات الله ﷻ.

الذي نريد أن نقف عنده قول الله ﷻ: ﴿وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾ (٦١) ينبغي -معاشر المؤمنين- أن تكون هذه الآية عنوانًا في هذا الباب، السَّاحِر لا يُفْلِح أينما ذهب، أينما توجه، مهما فعل، في أي مكان نزل، السَّاحِر غير مُفْلِح بشهادة رب العالمين، آمنَّا بهذا يا إخوان؟ آمنَّا والله، السَّاحِر أينما كان لا يُفْلِح، أينما توجه لا يُفْلِح، في أي مكان نزل لا يُفْلِح، آمنَّا بهذا وصدَّقنا، إذن من يأتي السَّاحِر ما شأنه؟ من

يذهب إلى السَّاحِر؟ مَنْ يلجأ إلى السَّاحِر؟ مَنْ يَفْزَعُ إلى السَّاحِرِ في مُلِمَّاتِهِ وَمَصَائِبِهِ، ما الذي سيناله؟ إذا كان السَّاحِر نفسه شَهِدَ رَبُّ الْعَالَمِينَ وأخبر رَبُّ الْعَالَمِينَ بأنه لا يُفْلِحُ إذن من يأتيه ماذا سيُحْصَل؟ أيُمكن أن يُحْصَل إنسانٌ من ساحرٍ فلاحاً ربِحاً سعادةً غنيمةً شفاءً؟ أبداً والله، السَّاحِر نفسه لا يُفْلِحُ، فكيف يُفْلِح من يأتيه؟! يقولون: فاقدُ الشَّيْء لا يُعْطيه، السَّاحِر هو نفسه فاقدٌ للفلاح، لا يُفْلِح أينما توجه وأينما ذهب، فكيف يُطَلَبُ فلاحٌ من جهته؟!

وبهذا ندرك -أيُّها الإخوان- أن من يأتي السَّاحِر هو في الحقيقة لا ينال من إتيانه له إلا الخُسران الكامل؛ خسران الدِّين، وخسران الدُّنيا، وخُسران الآخرة. حقيقةً مَنْ يأتي السَّاحِر أنه بائعٌ لدينه، فيخسر دينه، ويخسر دنياه، ويخسر آخرته؛ لأنَّ هذا الذي أتاه غير مُفْلِح فكيف يُنْشَدُ فلاحٌ من جهته؟! كيف يُطَلَبُ فلاحٌ من جهته؟!

ثم أيُّها الإخوة قول الله ﷻ في هذه الآية ﴿وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾ (٦١) فيه من الفقه أن الواجب على معاشر المسلمين وجموع المؤمنين أن يكونوا في غاية الحذر من السَّحرة؛ لأنَّ السَّحرة لا يُفْلِحون ومن يأتيهم لا يُفْلِح، إذن من فقه الآية أن نكون في غاية الحذر من هؤلاء السَّحرة.

ومن فقه الآية أيضاً: أن السَّحرة لهم وجود في القديم وفي الحديث، السَّحرة لهم وجود وتاريخهم قديم، وإذا قرأت قصص الأنبياء في القرآن تجد أنهم يُرْمَوْنَ من أقوامهم بأنهم ماذا؟ سَحرة. اليوم مرَّ معنا في صلاة المغرب قول الله ﷻ في آخر الذَّارِيات ﴿كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجْنُونٌ﴾ (٥٢) يعني هذا شأن أقوام الأنبياء أنهم دائماً وأبداً، ﴿كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجْنُونٌ﴾ (٥٢)، قالوا أيضاً لشعيب: ﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ﴾ (١٥٣) [الشعراء]، قالوا لصالح: ﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ﴾ (١٨٥) [الشعراء]، قالوا لموسى وهارون: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا لَسِحْرُنْ﴾ [طه: ٦٣]، وقالوا هذا لنبينا -عليه الصَّلاة والسَّلام-، فالسَّحر موجود من قديم الزَّمان. هاروت وماروت -وستأتي قصتهما قريباً- كان زمانهما كما ذكر ذلك بعض المفسرين قبل نوح -عليه السَّلام-، فالسَّحر قديمٌ وجوده في البشريَّة، ويتكاثر في أزمنةٍ ويقل، ويتكاثر في بلدانٍ ويقل.

ما سبب الكثرة وما سبب القلة؟ قلَّته بوجود الإيمان، وجود التَّوحيد، وجود الإخلاص، وجود العبادة، وجود الإقبال على الله يقلَّ السَّحر ويضعف وربما يتلاشى.

وإذا وُجِدَ الجَهل، وُجِدَ الشُّرك، وُجِدَ الضَّلال، وُجِدَ اتِّباع الأهواء يَفْشو السَّحر ويكثر السَّحرة،

ولهذا لا يكثر السحر ولا يروج إلا في المجتمعات الجاهلة، في أوساط المعاصي، أوساط الذنوب، أوساط الإقبال على الدنيا والانكباب عليها والبعد عن الله، يروج السحر ويتشرب ويكثر.

إذن من فقه الآية أن السحر له وجود، وهناك سحرة، وهم لا يفلحون، ومن يأتيهم لا يفلح، إذن وجب على كل مسلم أن يكون في غاية الحيطه وغاية الحذر من السحر ومن السحرة.

وقد قال - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - في الحديث الصحيح: «اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ: الشُّرْكَ» ثم قال: «وَالسَّحَرُ»^(١) أمرَ باجتنابه بالبُعد عنه، وهذا يتطلب أن يكون المسلم على معرفة بوجود الأمر وأن هناك سحرة وأن لهم علامات وأن لهم خطر على المجتمع كبير جداً، وأن المسلمين ينبغي أن يكونوا على حذر منهم، وأن يتكاتف أهل الإيمان وأهل الإسلام على تخليص المجتمع من السحرة وأضرارهم.

ندخل على ضوء ذلك في بعض النقاط المهمة حول السحر والسحرة:

- السحر ما هو؟ في اللغة: هو ما خفي ولطف سببه. أمور خفية، ولما كان عمل السحرة أشياء يعملونها من وراء الكواليس وفي الخفاء: عُقْدٌ، نَفْثٌ.. الخ، أكثر ما يكون عمل السحرة في الليل، يقول ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: "سلطان السحر ينهض في الليل"، يقوى في الليل، إذا لم يكن عمله في ليل يختار غرفة مظلمة، مكان خفي، يثير الدخان، ويضعون الأبخرة حتى يظلم المكان، يعيشون في الظلام، يعملون أفعالاً في الظلام خلف الكواليس، سحر، أعمال تُعمل في الخفاء، طلاسِم، شعوذة، نفث، عُقْدٌ، تعامل مع الشياطين، يتقربون إلى الشياطين بأنواع من القربات حتى يكون لهذا السحر أثر.

هذه حقيقة السحر، وهذه حقيقة الساحر، ولا يمكن لشخص كائنًا من كان أن يكون ساحرًا إلا إذا كفر بالله العظيم، ولهذا الساحر كافر، الساحر مشرك، السحر من عمل الشيطان، ولا يمكن أن يكون ساحرًا إلا إذا كفر بالله، ولا يمكن أن يكون ساحرًا إلا إذا نبذ القرآن، وأتبع الشياطين.

بهذا التعامل مع الشياطين، بهذا الخفاء، بهذه الظلمة، بهذه الطلاسِم والشعوذات، تأتي الآثار.

ولهذا ينبغي أن نعلم أن السحر له حقيقة، منه ما هو تخيل، ومنه ما هو له حقيقة له أثر، قد يقتل، قد يمرض، قد يفرق بين المرء وزوجه ﴿فَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ﴾، قد يضر بالبدن، قد يكون له آثار متنوعة، كل هذه تحصل ولا يمكن أن تحصل إلا بإذن الله ﴿وَمَا هُمْ بِضَاكِرِينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٠٢] فالأمر كلها بمشيئته رَحِمَهُ اللهُ، ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن.

(١) أخرجه البخاري رَحِمَهُ اللهُ (ح ٢٧٦٦)، ومسلم رَحِمَهُ اللهُ (٨٩)، من حديث أبي هريرة رَحِمَهُ اللهُ.

السَّاحِر لا يمكن أن يكون ساحرًا إلا بالكفر بالله واتباع الشَّيَاطِين.

وتابعوا معي التَّأَمُّل في كلام الله ﷻ، يقول الله -جَلَّ وعلا- في سورة البقرة: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (١٠١) وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ سُلَيْمَنَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ ﴿[البقرة] خذوها فائدة مهمة: بماذا يكون الإنسان ساحرًا؟ ما الخطوات التي يكون بها ساحرًا؟ لا يمكن أن يكون ساحرًا إلا بخطوتين:

- الأولى: اقرؤوها في قوله: ﴿نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ﴾ هذه الخطوة الأولى، ولهذا مدرسة السَّحَر أول ما يُطَلَّبُ مِمَّن يريد أن يدخل في هذه المدرسة وأن يكون من السَّحَرَة أول ما يُطَلَّبُ منه نَبَذُ القرآن، وكلِّما كان نَبَذُهُ للقرآن أقوى وأشدَّ كان دخوله في السَّحَر أقوى، يطلبون منه نَبَذُ القرآن، يطلبون منه في مدرسة السَّحَر أن يطأ القرآن بِقَدَمِهِ -والعياذ بالله-، أن يأخذ القرآن ويضع عليه النَّجَاسَات، أن يكتب القرآن بالحِضِّ والِدَّم والقاذورات، وكلَّ ما كان نَبَذُهُ للقرآن أشدَّ كلَّ ما كان دخوله في السَّحَر أقوى، ولهذا كلَّ ساحر لا يصل إلى السَّحَر إلا بهذه الخطوات.

يضع القاذورات على كلام الله، يكتب القرآن بالمقلوب بالدَّم، أي طريقة أي وسيلة يكون فيها امتهان للقرآن، انتقاص للقرآن، يطلبونها منه كخطوة أولى لا بد منها، مقدِّمة لا بد منها في بداية السَّحَر، وكفى كفرًا بهذا وارتدادًا عن الدِّين وخسرانًا للدُّنيا والآخرة، أي كفرٍ أَشْنَع وأيُّ بَغْيٍ أَفْظَع وأيُّ جُرْمٍ أَكْبَر من هذا الأمر ﴿نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (١٠١) هذه الخطوة الأولى.

- والخطوة الثانية ما هي؟ ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ سُلَيْمَنَ﴾، أن يكون عبدًا للشَّيْطَان وخادمًا لإبليس، أينما يوجَّه يتوجَّه، أينما يأمره أن يذهب يذهب، يقول له: لا تصلَّ يُطِيعه، يقول له: لا تسجد لله سجدة، يُطِيعه، يقول له: ارتكب الحرام يُطِيعه، أينما يأمره أينما يوجَّه يتَّجه.

﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ سُلَيْمَنَ﴾ أي أنَّهم أهل طَوَاعِيَة تامَّة وعبوديَّة كاملة للشَّيَاطِين، بما تأمرهم به وبما توجَّههم إليه يتَّجهون وبأمرهم يأتَمرون. هاتان الخطوتان لا بد منهما لكلَّ ساحر: نَبَذُ القرآن واتباع الشَّيَاطِين.

ثم إنَّ هذا السِّياق المبارك - كما بيّن العلماء - دلّ على كفر السّاحر من وجوهٍ عديدةٍ، ولنعدّها بأصابعنا - معاشر الأخوة - حتى نستوعب الأمر، هذا السِّياق المبارك دلّ على أنَّ السّاحر كافرٌ من وجوهٍ عديدةٍ، هي سبعةٌ وجوه :

- الوجه الأول في قوله - تَبَارَكَ وَتَعَالَى -: ﴿بَدَّ فَرْقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كَتَبَ اللَّهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ﴾ وهذا دليلٌ على أنَّ السّاحر كافرٌ، لأنَّ نَبَذَ القرآن ما هو؟ كفرٌ بالله ﷻ، إذن هذه الصّفة تدلّ على كفر السّاحر.

- الوجه الثاني في قوله: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيْطَانُ عَلَىٰ مُلْكٍ سُلَيْمَنَ﴾، واتباع الشّياطين عبادةٌ لهم من دون الله ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَبْنَىءَ آدَمَ أَن لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ﴾ [يس: ٦٠]، فطاعة الشّيطان عبادةٌ له، وعبادة الشّيطان كفرٌ بالله ﷻ، فهذا الوجه الثاني.

- الوجه الثالث: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ﴾ [البقرة: ١٠٢] لأنَّ اليهود يَرْمُون نبيَّ الله سليمان بأنه ساحر وأنَّ أعماله سحر، وثمة قصّةٌ يُورِدُها بعض المفسّرين في هذا الباب، أنَّ نبي الله سليمان بن داود - عليهما السّلام - لما مات عَمِدَتُ الجِنُّ فَجَمَعُوا السّحر وصنّفوه في كتبٍ وجعلوه تحت مُلكِ سليمان، فجاءت اليهود فيما بعد ووجدوا هذه الكتب تحت مُلكه وقالوا: إنَّ هذه الأمور هي التي مَلَكَ بها سليمان الدُّنيا، هي التي حَصَلَ له بها تسخير الأشياء، هذه الأشياء الموجودة تحت عرشه، ففعل الجِنُّ هذه الفعلة وانتشر السّحر، ولهذا يقال: أكثر ما يَتَشَرُّ السّحر في اليهود، وأكثر ما يُعرَف السّحر بين اليهود، ومن أسباب ذلك هذا الأمر، فبرأ الله ﷻ نبيّه سليمان من السّحر بقوله: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ﴾، فإذا قول الله - جلّ وعلا -: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ﴾ يدلّ على أنَّ مَنْ يتعلّم السّحر ويعمل بالسّحر كافر، هذا هو الوجه الثالث في دلالة الآية .

- الوجه الرابع في قوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾ [البقرة: ١٠٢] فوصّفهم بالكفر في سياق تعليم السّحر، فدلّ ذلك على أنَّ تعلّم السّحر وتعليمه كفرٌ ﴿وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا﴾، الآية تُفيد أنَّ كلَّ ساحرٍ تلميذٌ للشّياطين ومُتخرِّجٌ في مدرسة مَنْ؟ الشّياطين، مدرسة تعليم الكفر، ﴿وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾ فمن تخرّج في مدرستهم ومن تتلمذ على أيديهم هو كافرٌ مثلهم، فهذا وجه رابع في دلالة الآية على كفر السّاحر، ﴿وَلَكِنَّ

الشَّيْطَانِ كَفَرُوا يَعْلَمُونَ النَّاسَ السَّحَرِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَرْوْتَ ﴿البقرة: ١٠٢﴾.

- الوجه الخامس قول المَلَكَيْنِ: ﴿وَمَا يَعْلَمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾

[البقرة: ١٠٢]، وهذا يدل على أن من يتعلَّم السَّحَر ماذا يحدث له؟ يكفر، يكون كافراً بالله ﷻ، فهذا

الوجه الخامس في دلالة الآية على كفر السَّاحِر.

- الوجه السادس في الدلالة على كفر السَّاحِر: ﴿وَمَا يَعْلَمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا

تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ

وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ

﴿البقرة: ١٠٢﴾، وهذا الوجه السادس للدلالة على كفر السَّاحِر ﴿مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ﴾ أي لا

حظ له ولا نصيب يوم القيامة، ليس له يوم القيامة إلا العذاب والنكال الشديد، هذا الوجه السادس.

- الوجه السابع: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ

﴿البقرة: ١٠٣﴾ فقول الله: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا﴾ هذا دليل على ماذا؟ على أن هؤلاء ليسوا

بمؤمنين وليسوا بأتقياء، لأنه لا يقال في حق المؤمن التَّقِي "لو أنه آمن وأتقى"، فهذا دليل سابع على

كفر السَّاحِر.

فهذه سبعة وجوه تدل على أن السَّاحِر كافر، أن السَّاحِر غير مُفْلِح، أن السَّاحِر ليس له في الدنيا

والآخرة إلا الخسران، هذا حكمه.

وحده في الإسلام إذا علم أو إذا ضُبط أو إذا عُرف أن يُقتل، "حدَّ السَّاحِر ضربةً بالسَّيف" وجماهير

أهل العلم أنه يُقتل بدون أن يُستتاب، يعني إذا ضُبط السَّاحِر ومُسِكَ رأساً يُقدَّم إلى القتل بدون أن يقال

له تتوب أو لا تتوب، بل يُقتل مباشرةً.

وقد جاء عن غير واحدٍ من الصَّحابة قُتِل السَّوَاحِر، جاء عن عمر، وجاء عن حفصة، وجاء عن جندب

قُتِل السَّاحِر، وهذا حكمه، لماذا؟ لأن وجوده شرٌّ، وجود السَّاحِر في المجتمع شرٌّ عظيم، بلاءٌ مستطير،

يُميت مَنْ يُميت، يُمِرِّض مَنْ يُمِرِّض، يُفَرِّق بين الأزواج، يُوجِد شقاقاً وفُرقةً في المجتمعات وبين

النَّاس، ولا يمكن أن يكون شيءٌ من ذلك إلا بإذن الله ابتلاءً وامتحاناً.

إذن السَّاحِر وجوده في المجتمع هو في الحقيقة مِعْوَلٌ هدمٌ للمجتمع، وسيلةٌ شرٌّ تفتك بالمجتمعات.

ولهذا المجتمعات التي يفسد فيها السَّحَرَة ويكثرون من أكثر المجتمعات تفكُّكاً، من أكثر

المجتمعات أمراضاً، من أكثر المجتمعات تناحراً، تجد الأسر مُتباغضة مُتعادية، تجد البيوت مُتطاحنة، تجد الأمراض فاشية، تجد في المجتمع بلاءً وشرٌ عظيمٌ، كله في غالبه بسبب هؤلاء.

إذن السّاحر إذا وُجد لا يُسكت عنه ولا يُترك؛ بل يُقدّم ويُذكر للجهات المعنيّة والجهات المختصة حتى يُقبض عليه، حتى يُراح النَّاس من شرّه، لا يبقى يُفسد يضرّ بالثاني والثالث والرابع، ويؤهم النَّاس بالمنافع والفوائد، فهذا أمرٌ ينبغي أن يتنبّه له كلُّ مسلم.

هنا سؤالٌ مهمٌ يحتاج إليه كثير من النَّاس، عندما يسمع المسلم الحريص على الخير بخطورة السّحر وخطورة السّحرة ووجوب اجتناب السّحرة والبعد عنهم يأتي هنا سؤال مهم: ما هي علامات السّاحر؟ بحيث إنني إذا وجدتُ أمثال هذه العلامات أعرف أنّ من أمامي أو من دُكر لي أنّه ساحر ممّن أمرني رسول الله ﷺ باجتنابهم والبعد عنهم وعدم إتيانهم، ما هي علامات السّاحر؟

السّاحر له علامات ذكرها أهل العلم عديدة، ومعرفة هذه العلامات مفيدة للمسلم لأنّه بمجرد ما يرى أمثال هذه العلامات يُدرك أنّ هذه الشّخصية شخصيّة ساحرٍ يجب اجتنابه ويجب إبلاغ الجهات عنه، من علاماته :

- أنه عندما يأتيه شخص أوّل ما يبدأ يسأله عن اسمه واسم أمّه، ﴿أَدْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ [الأحزاب: ٥] هكذا قال الله في القرآن، فأوّل ما يبدأ يسأله عن اسم أمّه: من أمّك؟، وربّما أنّ السّاحر يبتدّره قبل أن يتكلّم يقول له: أنت فلان، أنت ابن فلانة، أنت من الحي الفلاني، هذه كلّها من العلامات.

- من العلامات أنّ بين يديه استخدامٌ للأدخنة والأبخرة، وغالبًا يكون عمله في الليل، وفي غرفة مظلمة، وفي الخفاء، هذه من علاماته.

- من علاماته أنه يطلب ممن يأتيه أن يأتيه بأثرٍ لمن أراد أن يسحره يقول له: تأتيني بشيءٍ من ملابسه، قطعةً من أظافره، شيءٍ من شعره، تأتينا ببعض ملابسه الدّاخلية، صورة من صورته، وهذا يخفى على كثير من النَّاس، الصّورة تُستخدم، وبعض من يريدون سحرَ بعض النَّاس يأخذون لهم صور ويقدمونها إلى السّحرة، وُضبطَ بعضهم يحمل معه صوراً لمن يريد سحرهم ويُرسلها إلى السّحرة لغرض السّحر، فهذه كلّها من الأشياء التي يُعرف بها السّاحر.

- من علاماته أنه يُتمّ بكلماتٍ غير مفهومةٍ وطلاسم وشعوذات.

- من علاماته أنه يُهين القرآن فيما يكتبه، فتجده يكتب مثلاً ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص] بطريقة معينة فيها تهكُّم بالقرآن، يكتبها مقطّعة ومفرّقة وبين الحروف وبين المربعات وبين الطلاسم إهانة للقرآن، ويتقرّب بهذا العمل للشيطان.

- من علاماته أنه يُعطي من يأتيه تائم وعُقَد وأشياء تُعلّق.

- من علاماته أنه يطلب ممن يأتيه أن يذبح فأراً أو يأتي بدجاجة يذبحها في المكان الفلاني في الوقت الفلاني ولا تذكُر اسم الله عليها؛ هذا شرط، أشياء من هذا القبيل، هذه كلها من علامات هؤلاء السحرة.

فلهم علامات كثيرة ذكرها أهل العلم حتى يحذر الإنسان ويحتاط لدينه من هذه الأعمال.

هنا أقف وقفة قصيرة جداً بين يدي قصاصة من جريدة، تاريخها جديد ليست قديمة، تاريخها في الخامس عشر من شهر صفر، منتصف الشهر الماضي، هذا ساحرٌ ضَبِطَ في المملكة يسّر الله عزّ وجلّ لوحدة مكافحة المخدرات بالتعاون مع هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتمّ ضبطه، هنا لاحظوا ما يتعلّق بعلامات الساحر التي كنّا نتحدّث عنها، جاء في الخبر هنا: "واعتاد هذا المشعوذ على استقبال ضحاياه في مواقع متعدّدة، ويطلب منهم بعض الأشياء التي تساعد في عمله غير المشروع، والتي من ضمنها: قصاصات لأقمشة نسائية، وبعض الخيوط، والأحجار الصغيرة، بالإضافة إلى حلقات دائرية لتركيبها في أرجل الطيور، وبعض أجنحة الفراشات، وأوراق الأشجار، والتي يقوم بلفّها في أوراق معدّة لذلك، كما ضَبِط بحوزته قوائم متعدّدة وطويلة لأسماء نساء يُحتمل أنهنّ من ضحاياه، هذا بالإضافة إلى مبالغ مالية ومستلزمات أخرى" .. إلى آخر الخبر، فهذه كلها قواسم مشتركة لدى السحرة فيما يطلبون من الناس أن يفعلوه.

هناك آخرون ليسوا سحرة ولكنهم أهل شعوذة ودَجَل على الناس، وتحت مسمّى علاج المرضى ورُقبة المريض يمارسون أعمالاً مشينة، أذكر لكم ذلك لأنّ في الورقة نفسها أو في القصاصة التي بيدي من الجريدة إلى جنب هذا الخبر خبر آخر فيه إشارة إلى هذا الصنف الآخر، في الوقت نفسه ضَبِط آخر ببلد آخر، رجل في الخمسينيات من عمره يزعم أنه يعالج خاصّة النساء ويستخرج الجن، ويزعم أنه يستطيع ذلك بالرُقبة الشرعية، وبعض الناس يُثير عن نفسه في أوساط الناس دعاية أنه يرقى برقية شرعية، وهو في الحقيقة يعمل على ابتزاز الأموال وفي الوقت نفسه على ارتكاب المحرّمات، وإليكم نموذج

حتى يحذر الناس: هذا الرجل الذي ضُبطَ كانت أبلغت عنه فتاة، جاء في الخبر: "ومن أعماله المشينة -هذا الرجل- وَضَعُ فَمِهِ عَلَى رِقَابِهِنَّ -أي على رقاب النساء- وذلك لامتناع الجن، يعني كلما جاءت امرأة يَمَضُّ رِقَبَتَهَا من مواضع بزعمه أنه يمتص الجن من داخلها، وفي الخبر أيضًا أنه يضع يده على مواضع حساسة من جسدها يتحسس أين مكان الجن في بدنها -هذا في ظاهر الأمر- وفي باطنه ماذا؟ معروف فسادٌ عريضٌ وشرٌّ كبيرٌ.

وبحكم أن المرأة ضعيفة وعقلها ناقص وفيها مرضٌ شديدٌ وتريد أن تتخلص من هذا المرض ربّما أنها تسكت وتتغاضى عن هذه الأمور تحت وهم وتخيل أنها ماذا؟ تطلب الشفاء وتطلب العافية فتتغاضى، والأمر لا يزيدُها إلا بلاءً وشرًّا ومرضًا. فهذا كله مما يستوجب الحذر من السحرة ومن المشعوذين ومن جميع أكلة أموال الناس بالباطل.

هنا نأتي إلى حكم إتيان السّاحر، ونحن عرفنا من هو السّاحر وما هي حقيقته، وإذا علمت حقيقة السّاحر عُرِفَ حُكْمُ إتيانه، حكم إتيانه محرّم بأيّ حالٍ من الأحوال.

والنبي ﷺ قال: «اجتنبوا السبع الموبقات» ومن ضمنها السّحر، فالسّاحر لا يؤتى ولا يُذهبُ إليه ولو كان الغرض من الذهاب إليه حلّ السّحر؛ وهو ما يسمّى عند أهل العلم بالنُّشْرَة.

والنُّشْرَة: هي حلّ السّحر عن المسحور، وله طريقتان:

الطريقة الأولى: وهي محرّمة باطلة، بالإتيان والذهاب إلى السّحرة، يذهب إليه ليطلب منه حلّ السّحر الذي أصابه، وهذا محرّم ولا يجوز، وهذا الغرض ليس بمبرر للذهاب إلى السّاحر.

ورضا بعض الناس بهذا الأمر أو قناعتهم بجواز الذهاب لهذا الغرض ترتّب عليه فسادٌ عريضٌ نبّه عليه أهل العلم قديمًا؛ ألا وهو أن كثيرًا من الناس سيتغاضون عن السّحرة وسيسكتون عنهم لماذا؟ لأنّه بزعمهم منهم فائدة لحلّ السّحر.

ولهذا يكثر السّحر في المجتمعات ويروج ولا يزال السّاحر يسحر حتى بدون أن يطلب منه الناس، حتى يأتيه الناس بأموالهم، حتى تأتيه النساء.. الخ لطلب حلّ السّحر، فيمارس السّحر في أناس بدون أن يطلب منه ليكثر من يأتي إليه، فيكسب المال، ويكسب الفساد، ولا يزال الناس يسكتون عنه بحجّة ماذا؟ أن في السّاحر فائدة وهي أن يحلّ السّحر عن المسحور، وهذا يترتّب عليه شرٌّ عظيمٌ جدًّا.

وأيضًا من جهة أخرى لئن في قلوب كثير من الناس خطورة السّاحر وأصبح يأتي إليه ولا يبالي بحجّة ماذا؟ أنّه أتى إليه لحلّ السّحر لا عن رضا به ولا عن قناعة.

الواجب على المسلم إذا علم بالساحر وبالمكان الذي هو به أن يُبلغ عنه ويخبر عنه حتى يُراح المجتمع منه ومن شره لا أن يُسكت عليه ويُستبقى بحجة أو علة أنه يُستفاد منه في حلّ السحر، فهذا من البلايا العظام ومن الشرور الكبيرة.

وقد سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عن النُّشْرَةِ فقال: «إِنَّهَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ»^(١) والمراد بالنُّشْرَةِ هنا: حلُّ السَّحْرِ بسحرٍ مثله، هذه من عمل الشَّيْطَانِ، ولهذا لا يجوز إتيان الساحر لأيِّ حالٍ من الأحوال ولو كان الغرض من إتيانه حلُّ السَّحْرِ.

ثم انتبهوا هنا: مَنْ ذَهَبَ إِلَى سَاحِرٍ لِيَحْلُلَ عَنْهُ مَا بِهِ مِنْ سِحْرٍ، هو في الحقيقة ماذا عَمِلَ هذا الذي ذَهَبَ إِلَى السَّاحِرِ؟ في الحقيقة ذهب إلى السَّاحِرِ لِيَبِيعَ دِينَهُ، لأنَّ تعامله وتعامل السَّاحِرِ معه يترتب عليه مقدّمات؛ منها أعمالٌ كفريةٌ وأمورٌ شركيةٌ يطلبها منه، وتحت وطأة الحاجة والشفقة وإرادة التخلّص من البلاء كثير من النَّاسِ - وأيضًا بسبب الجهل - ينساق إلى ما يطلبه منه السَّاحِرُ، وهناك تكون الكارثة والبلية العظيمة.

إذن السَّاحِرُ لا يجوز أن يؤتى إليه بأيِّ حالٍ من الأحوال، وأينما وُجِدَ وعُرفَ عنه يجب أن يُبلغ عنه، حتى يتخلّص النَّاسُ من شره ومن بلائه العظيم.

الطريقة الثانية في حلّ السَّحْرِ: حلُّه بالرُّقَى الشرعية؛ بالقرآن الكريم، بالأدعية الماثورة عن النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بالالتجاء إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وقد جاء في الصَّحِيحَيْنِ في قصة سَحْرِ النَّبِيِّ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -: وجاء في الخبر أنه كان يُخَيَّلُ إليه أنه يفعل الشيء ولا يفعله، وقد ذكر أهل العلم أن هذا في ظاهر بدنه وفي جسده لم يمس قلبه ولا عقله ولا دينه، وإنما شيءٌ في ظاهر الجسد، كان يُخَيَّلُ إليه أنه يفعل الشيء وهو لا يفعله صلوات الله وسلامه عليه.

جاء في الخبر في «الصَّحِيحَيْنِ»^(٢)، عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: سَحَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَهُودِيٌّ مِنْ يَهُودِ بَنِي زُرَيْقٍ يُقَالُ لَهُ لَيْدُ بْنُ الْأَعْصَمِ، قَالَتْ: حَتَّى كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ يَفْعَلُ الشَّيْءَ وَمَا يَفْعَلُهُ، حَتَّى إِذَا كَانَ ذَاتَ يَوْمٍ أَوْ ذَاتَ لَيْلَةٍ دَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ دَعَا ثُمَّ دَعَا، وَهَذَا فِيهِ تَكَرُّرُ الْإِلْتِجَاءِ إِلَى اللَّهِ ﷻ.

(١) أخرجه أبو داود رَحِمَهُ اللَّهُ (ح ٣٨٦٨)، من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصَحَّحه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٢) أخرجه البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ (ح ٦٣٩١)، ومسلم رَحِمَهُ اللَّهُ (ح ٢١٨٩) من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

ومناجاته ثُمَّ قَالَ: «يَا عَائِشَةُ أَشْعَرْتَ أَنَّ اللَّهَ أَفْتَانِي فِيمَا اسْتَفْتَيْتُهُ فِيهِ؟ ، جَاءَنِي رَجُلَانِ ، فَقَعَدَ أَحَدُهُمَا عِنْدَ رَأْسِي وَالْآخَرُ عِنْدَ رِجْلَيَّ ، فَقَالَ : الَّذِي عِنْدَ رَأْسِي لِلَّذِي عِنْدَ رِجْلَيَّ أَوْ الَّذِي عِنْدَ رِجْلَيَّ لِلَّذِي عِنْدَ رَأْسِي مَا وَجَعَ الرَّجُلِ ، قَالَ : مَطْبُوبٌ ، قَالَ: مَنْ طَبَّهُ؟ ، قَالَ : لَبِيدُ بْنُ الْأَعْصَمِ ، قَالَ : فِي أَيِّ شَيْءٍ؟ ، قَالَ: فِي مُشْطٍ وَمُشَاطَةٍ ، قَالَ : وَجُفٌّ طَلَعَهُ ذَكَرٌ ، قَالَ : فَأَيْنَ هُوَ؟ ، قَالَ : فِي بَثْرِ ذِي أَرْوَانَ»

فإذن من الوسائل العظيمة للنشرة التي هي حل السحر عن المسحور، الالتجاء إلى الله ﷻ بالدعاء مع الثقة به، والاعتماد عليه، وكمال الفرار إليه، وصدق الالتجاء إليه، قد جاء في الحديث: «أَدْعُوا اللَّهَ وَأَنْتُمْ مُوقِنُونَ بِالْإِجَابَةِ»، ^(١) والله -جل وعلا- يقول: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦].

أيضاً العناية بالرقية بالقرآن الكريم، آية الكرسي، والمعوذتين، وسورة الإخلاص، والفاتحة، هذه من أنفع ما يكون في إبطال السحر، وآيات التوحيد، وكذلك الآيات التي فيها إبطال السحر وأنه لا يُحْصِلُ صاحبه فلاحاً ولا يُحْصِلُ إلّا الخيبة والخسران، فهذه من الأمور النافعة جداً.

آية الكرسي لها أثرٌ عظيمٌ عندما يحافظ المسلم عليها كما ورد، أدبار الصلوات، وفي ذكر الصباح والمساء، جاء في الحديث أن مَنْ قرأها في الصباح أُجِيرَ من الشياطين حتّى يُمسي، وإذا قرأها في المساء أُجِيرَ من الشياطين حتّى يُصبح.

وجاء أيضاً في الحديث الآخر أن مَنْ قرأها إذا أوى إلى فراشه لم يزل عليه من الله حافظ ولا يقربه شيطان حتّى يُصبح، قراءة سورة البقرة نافعٌ جداً للسلامة من السحر.

وقد جاء في الحديث في «صحيح مسلم» أن رسول الله ﷺ قال: «اقْرَءُوا الْبَقْرَةَ فَإِنَّ قِرَاءَتَهَا بَرَكَةٌ، وَتَرْكُهَا حَسْرَةٌ، وَلَا تَسْتَطِيعُهَا الْبَطَلَةُ» أي السحرة. ^(٢)

وجاء أيضاً في صحيح مسلم الأمر بقراءة سورة البقرة، وأن الشيطان لا يقرب البيت الذي تُقرأ فيه سورة البقرة. ^(٣)

(١) أخرجه الترمذي رحمه الله (ح ٣٤٧٩)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وقال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه. وحسنه الألباني رحمه الله.

(٢) أخرجه مسلم رحمه الله (ح ٨٠٤) من حديث أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه.

(٣) أخرجه مسلم رحمه الله (ح ٧٨٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

أيضاً قراءة الآيتين الأخيرتين من سورة البقرة كل ليلة، جاء في الحديث الصحيح أن «من قرأهما في ليلة كفتاه»^(١) أي تكفيانه بإذن الله - تبارك وتعالى - من كل شرّ وسوء.

المحافظة على الأذكار عمومًا، أذكار الصباح والمساء، وأذكار الصلوات، هذه كلها من الأمور العظيمة النافعة في السلامة من السحر.

حُسن الإقبال على الله - جلّ وعلا -، بعبادته، وطاعته، والتقرب إليه - جلّ وعلا -، هذه كلها من الأمور التي يتمّ التخلص بها من السحر.

أيضاً يتفقد الإنسان نفسه، ذنوبه ومعاصيه، تقصيره في طاعة الله، تركه للعبادة.. إلى غير ذلك من الأمور. هذا كله من الأمور التي بإذن الله - تبارك وتعالى - يتحقق للإنسان بها الخير.

أيضاً الاستغفار في تفريج الهموم والتخلص من الشدائد والكربات ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ۝١١ وَيُمَدِّدُكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ۝١٢﴾ [نوح]، فهذا فيما يتعلق بحلّ السحر عن المسحور.

أما وقاية المسلم من السحر أن يناله فهذا فيه أيضاً أمور، من أهمّها:

توكل المسلم الدائم على الله، وحُسن اعتماده عليه، وثقته به ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ ۚ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ ۝١٧٥﴾ [آل عمران] فيكون الإنسان على ثقة بالله، وحُسن اعتماده عليه، وتوكل عليه، قال: ﴿فَلَمَّا أَتَقَوْا قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ السَّحَرُ ۚ إِنَّ اللَّهَ سَابِقُ الْإِصْبَاحِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يَصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ ۝٨١﴾ [يونس]، فيثق بالله، ويلجأ إليه، ويتوكل عليه، ويحسن في التضرّع إليه. هذا من الأمور المهمة للوقاية من السحر.

أيضاً البعد عن الذنوب وعن المعاصي، فالذنوب شرّ وبلاء على الإنسان، وسبب لدخول الشياطين عليه وإضرارها به.

أيضاً من الأمور المهمة: المحافظة على العبادات ولاسيما الصلوات الخمس ولاسيما صلاة الفجر في جماعة كما جاء في الحديث: «مَنْ صَلَّى الصُّبْحَ فِي جَمَاعَةٍ فَهُوَ فِي ذِمَّةِ اللَّهِ»،^(٢) فهذا من الأمور

(١) أخرجه مسلم رحمه الله (ح ٨٠٨) من حديث أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم رحمه الله (ح ٦٥٧) من حديث جندب بن عبد الله رضي الله عنه.

النَّافعة جدًا للوقاية من السَّحر.

أيضًا المحافظة على الأذكار، أذكار الصَّباح وأذكار المساء، وأذكار التَّوَم، والأذكار التي تُقال أدبار الصَّلوات، فهذه من الأمور النَّافعة أيضًا.

وجاء في الصَّحيح أَنَّ «مَنْ اضْطَبَحَ بِسَبْعِ تَمَرَاتٍ عَجْوَةٍ لَمْ يَضُرَّهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ سُوءٌ وَلَا سِحْرٌ»^(١) هذا من الأمور النَّافعة والمفيدة في هذا الباب.

وعلى كُلِّ حال، أهُمُّ ما يكون في هذا الباب: اللُّجُوءُ إلى الله، وحُسْنُ القيام بعبادته، وكمال الالتجاء إليه، وإنَّ ابتلي الإنسان بشيءٍ من السَّحر فلا يكون هذا الابتلاء سببًا لأن يبيع الإنسان دينه ويخسر دينه ويخسر آخرته بالذهاب إلى السَّحرة؛ بل يكون ما أصابه سببًا لحُسْنِ التجاءه إلى الله وانطراحه بين يديه وإقباله عليه ﷺ ورجائه وحده - جَلَّ وعلا.

وأختم بالإشارة إلى كُتَيْبٍ نافع ومؤلف صغيرٍ قيِّم، حجمه صغير لكنَّه نافعٌ حقيقةً في بابه، وهو بعنوان «بائعُ دينه» لإمام المسجد النبوي الشيخ عبد المحسن بن محمد القاسم - حفظه الله -، حقيقةً رسالةً قيِّمةً جدًا في هذا الموضوع، أنصحُ بقراءتها والاستفادة منها.

وأسأل الله العظيم ربَّ العرش العظيم بأسمائه الحسنَى وصفاته العُلَى أن يحفظنا وإياكم بحفظه، وأن يكلِّنا جميعًا برعايته وعنايته، وألَّا يكلِّنا إلَّا إليه، وأن يعيِّدنا من شرِّ الأشرار وكيد الفجَّار، وأن يُصلِّح لنا ديننا الَّذي هو عصمةُ أمرنا، وأن يُصلِّح لنا دنيانا الَّتِي فيها معاشنا، وأن يُصلِّح لنا آخرتنا الَّتِي فيها معادنا، وأن يجعل الحياةَ زيادةً لنا في كُلِّ خير، والموت راحةً لنا من كُلِّ شر.

ونسأله - جَلَّ وعلا - بأسمائه الحسنَى وصفاته العُلَى أن يشفي مرضى المسلمين، وأن يُفرِّج همَّ المهمومين، وأن يُنَفِّس كرب المكروبين، وأن يرحمنا برحمته أجمعين، وأن يوفقنا لما يحبه ويرضاه من صالح الأعمال وسديد الأقوال، إنه - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - سميع الدُّعاء، وهو أهلُ الرَّجاء، وهو حسبنا ونَعْمَ الوكيل، وصَلَّى اللهُ وسلَّم على نبيِّنا مُحَمَّد وآله وصحبه أجمعين.



(١) أخرجه البخاري رَحِمَهُ اللهُ (ح ٥٧٧٩). ومسلم رَحِمَهُ اللهُ (ح ٢٠٤٧) من حديث سعد بن أبي وقاص رَحِمَهُ اللهُ.